

الواحة
المستوى: الرابع
المحور: الصيام
لستُ صَغيرًا على الصِّيام
دار العلم للملايين

دار العلم للملايين
شارع مار الياس - بناية متكو - الطابق الثاني
هاتف : 306666 1 (961) + - فاكس : 701657 1 (961) +
ص.ب. : 1085 - 11 بيروت 2045 8402 - لبنان
internet site: www.malayin.com
e-mail: info@malayin.com

الطبعة الأولى
تشرين الأول/ أكتوبر 2007

جميع الحقوق محفوظة: لا يجوز نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب في أي شكل من الأشكال أو بأية وسيلة من الوسائل سواء التصويرية أم الإلكترونية أم الميكانيكية، بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو سواها وحفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر.

Copyright © 2007 by
Dar El Ilm Lilmalayin,
Mar Elias street, Mazraa
P.O.Box: 11-1085
Beirut 2045 8402 LEBANON
First published 2007 Beirut

طبع في لبنان

تصميم وتنفيذ: سامو برس غروب

لستُ صَغيرًا على الصِّيام



تأليف

هبة العويني

رسوم

محمد ضناوي

دار العلم للملايين

كانَ الظَّلامُ ما يَزالُ سائِدًا عِنْدَما اسْتَيْقَظَ هِشامٌ عَلى صَوْتِ أَذانِ الْفَجْرِ يَرْتَفِعُ مِنَ الْمَسْجِدِ الْقَريبِ..

اللّٰهُ أَكْبَرُ.. اللّٰهُ أَكْبَرُ..

أَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰهَ إِلاّ اللّٰه...

أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللّٰه...

انْسَكَبَ النِّداءُ عَذْبًا في نَفْسِ هِشامٍ، وفيما راحَ يَسْتَسْلِمُ لِلنَّوْمِ مِنْ جَديدٍ لَمَعَتْ في رَأْسِهِ فِكْرَةٌ.

وفَجْأَةً طارَ النَّوْمُ مِنْ عَيْنَيْهِ واسْتَوى في سَريرِهِ جالِسًا يُفَكِّرُ؛ فَقَدْ تَذَكَّرَ أَمْرًا خَطيرًا: هٰذا الْيَوْمُ هُوَ أَوَّلُ أَيّامِ شَهْرِ رَمَضانَ، الشَّهْرِ الَّذي يَدَعُ فيهِ الْمُسْلِمونَ الطَّعامَ والشَّرابَ مِنْ قَبْلِ أَذانِ الْفَجْرِ حَتّى أَذانِ الْمَغْرِبِ مِنْ كُلِّ يَوْمٍ طاعَةً لِلّٰهِ في ما كَتَبَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ صِيامِ هٰذا الشَّهْرِ الْمُبارَكِ.



لَقَدِ انْتَظَرَ هِشامٌ هٰذا الْيَوْمَ بِفارِغِ الصَّبْرِ كَيْ يَخْتَبِرَ الصِّيامَ أُسْوَةً بِسائِرِ أَفْرادِ الْعائِلَةِ، بِمَنْ فيهِمْ أُخْتُهُ الْكُبْرى ناديا ذاتُ الاِثْنَيْ عَشَرَ رَبيعًا، وكانَتْ تَصومُ لِلْمَرَّةِ الْأُولى هٰذا الْعامَ.

لٰكِنَّ والِدَيْهِ قالا إِنَّهُ ما زالَ صَغيرًا جِدًّا عَلى الصِّيامِ!

أَرادَ هِشامٌ مِنْ كُلِّ قَلْبِهِ أَنْ يَصومَ رَمَضانَ لِيَكونَ مُؤْمِنًا حَقيقِيًّا كَجَدِّهِ، ولَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَتَقَبَّلَ عَدَمَ سَماحِ والِدَيْهِ لَهُ بِالصِّيامِ.

كَيْفَ يَعْتَبِرانِ أَنَّهُ ما زالَ صَغيرًا، وقَدْ أَوْشَكَ أَنْ يَبْلُغَ الثّامِنَةَ مِنْ عُمْرِهِ؟ والْآنَ، ها هُوَ في عَتَمَةِ غُرْفَتِهِ، يَجْلِسُ في السَّريرِ، ضامًّا رُكْبَتَيْهِ إِلى صَدْرِهِ، مُسْتَعيدًا ذِكْرَياتِ رَمَضانَ الْماضي.

يا اللّٰهُ كَمْ كانَتْ جَميلَةً تِلْكَ الْأَيّامُ!

وها هُوَ رَمَضانُ يَزورُنا مُجَدَّدًا، فَهَلْ أَدَعُهُ يَمُرُّ هٰذِهِ السَّنَةَ أَيْضًا مِنْ دونِ أَنْ أَصومَهُ؟!

لَقَدْ وَعَدَ اللّٰهُ الصّائِمينَ بِأَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ ذُنوبَهُمْ ويُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ، فَكَيْفَ لي أَنْ أُفَوِّتَ عَلَيَّ ثَوابَ صِيامِ هٰذا الشَّهْرِ الْفَضيلِ ويَفوزَ بِهِ الْآخَرونَ؟ لا، هٰذا مُسْتَحيلٌ.

رَفَعَ هِشامٌ رَأْسَهُ نَحْوَ السَّماءِ، ثُمَّ هَمَسَ بِمِلْءِ عَزيمَتِهِ: «سَوْفَ أَصومُ...»



قَضى هِشامٌ قَبْلَ ظُهْرِ ذٰلِكَ الْيَوْمِ وهُوَ يُفَكِّرُ في طَريقَةٍ تَسْمَحُ لَهُ بِالْبَقاءِ صائِمًا.

كانَ التَّخَلُّصُ مِنْ طَعامِ الْفَطورِ أَسْهَلَ ما في الْأَمْرِ، فَعِنْدَما خَرَجَ الْأَوْلادُ إلى الْمَلْعَبِ لِلْفُسْحَةِ صادَفَ هِشامٌ زَميلَهُ سَعيدًا الَّذي كانَ مَعْروفًا بَيْنَ رِفاقِهِ بِشَهِيَّتِهِ الْمَفْتوحَةِ على جَميعِ أَنْواعِ الْمَأْكولاتِ..

ـ مَرْحَبًا سَعيدُ!

كانَ سَعيدٌ مُنْهَمِكًا في الْتِهامِ تُفّاحَةٍ حَمْراءَ، حَتّى إِنَّهُ لَمْ يُلاحِظْ أَنَّ شَخْصًا ما كانَ يُخاطِبُهُ.





فَتَحَ هِشامٌ عُلْبَةَ الطَّعامِ، وأَخْرَجَ مِنْها شَطيرَةَ الزُّبْدَةِ والْمُرَبّى الَّتي أَعَدَّتْها لَهُ والِدَتُه قَبْلَ مُغادَرَتِه الْمَنْزِلَ، فَفاحَتْ رائِحَتُها الزَّكِيَّةُ.

ـ ممم.. ما أَشْهاها! أَتُريدُ بَعْضًا مِنْها؟

اِتَّسَعَتْ عَيْنا سَعيدٍ لَدى رُؤْيَتِه الشَّطيرَةَ، لٰكِنَّهُ تَرَدَّدَ قليلاً:

ـ آهْ... لا أَدْري. تَقولُ أُمّي إِنَّهُ عَلَيَّ أَلّا أَقْبَلَ طَعامًا مِنْ أَحَدٍ.

ـ هَلْ تَعْلَمُ شَيْئًا؟ لَسْتُ جائِعًا الْآنَ، وإِنْ تَرَكْتُها في الْعُلْبَةِ فَسَتَفْسُدُ... هَيّا خُذْها!

وسُرْعانَ ما قَبِلَ سَعيدٌ عَرْضَ هِشامٍ الْمُغْرِيَ بِابْتِسامَةٍ عَريضَةٍ.

بَقِيَ السُّؤالُ الْأَصْعَبُ الَّذي كانَ عَلى هِشامٍ أَنْ يَجِدَ لَهُ جَوابًا وبِسُرْعَةٍ:

كَيْفَ يَتَخَلَّصُ مِنْ طَعامِ الْغَداءِ مِنْ دونِ أَنْ يَشْعُرَ أَحَدٌ بِذٰلِكَ؟؟

بِعَوْدَةِ هشامٍ مِنَ الْمَدْرَسَةِ ظُهْرَ أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ رَمَضانَ، كانَ ريقُهُ قَدْ جَفَّ تَمامًا، وبِخاصَّةٍ أَنَّ مُناخَ ذٰلِكَ الْيَوْمِ كانَ حارًّا جِدًّا.

وكانَ مِنْ عادَتِهِ أَنْ يَتَّجِهَ مُباشَرَةً إلى الْمَطْبَخِ لِشُرْبِ الْماءِ، لٰكِنَّهُ ما إِنْ دَخَلَ الْمَطْبَخَ حَتّى تَذَكَّرَ أَنَّهُ صائِمٌ، فَأُصيبَ بِخَيْبَةِ أَمَلٍ كَبيرَةٍ.

دَغْدَغَتْ رَوائِحُ الْأَطْعِمَةِ الشَّهِيَّةِ الَّتي كانَتْ تُعِدُّها الْوالِدَةُ أَنْفَ هِشامٍ، فَأَغْمَضَ عَيْنَيْهِ، ولَمْ يَكَدْ يَسْتَسْلِمُ لَها حَتّى سَمِعَ قَرْقَرَةَ مَعِدَتِهِ الْخاوِيَةِ تَصْرُخُ بِأَعْلى صَوْتِها مُطالِبَةً بِالطَّعامِ، فَوَكَزَها عَلَّها تَسْكُتُ فَلا تَفْضَحُهُ.

«أَهْلاً وسَهْلاً» حَيَّتْهُ الْوالِدَةُ، وَأَرْدَفَتْ قائِلَةً: «أَأَنْتَ جائِعٌ؟ لَقَدْ أَعْدَدْتُ لَكَ وَجْبَةً خَفيفَةً تَسُدُّ بِها جوعَكَ رَيْثَما يَحينُ وَقْتُ الْإِفْطارِ.»



نَظَرَ هِشامٌ إلى الطّاوِلَةِ حَيْثُ كانَتْ في انْتِظارِهِ شَريحَتانِ مِنَ الْخُبْزِ، وَقِطْعَةٌ كَبيرَةٌ مِنَ الْجُبْنِ، وكوبٌ مِنَ الْحَليبِ.

قالَ هِشـامٌ في نَفْسِـهِ: «هٰذا ما كُنْتُ أَخْشاهُ، ماذا سَأَفْعَلُ؟ لَقَدْ وَعَدْتُ اللّٰهَ بِأَنّي سَأَصومُ لِأَكونَ مُؤْمِنًا حَقيقِيًّا، وصَبَرْتُ عَلَى الْجوعِ مُنْذُ الصَّباحِ.

لا أَسْتَطيعُ أَنْ أَتَراجَعَ الْآنَ وقَدِ اقْتَرَبَ مَوْعِدُ الْإِفْطارِ، لا أَسْتَطيعُ!!»

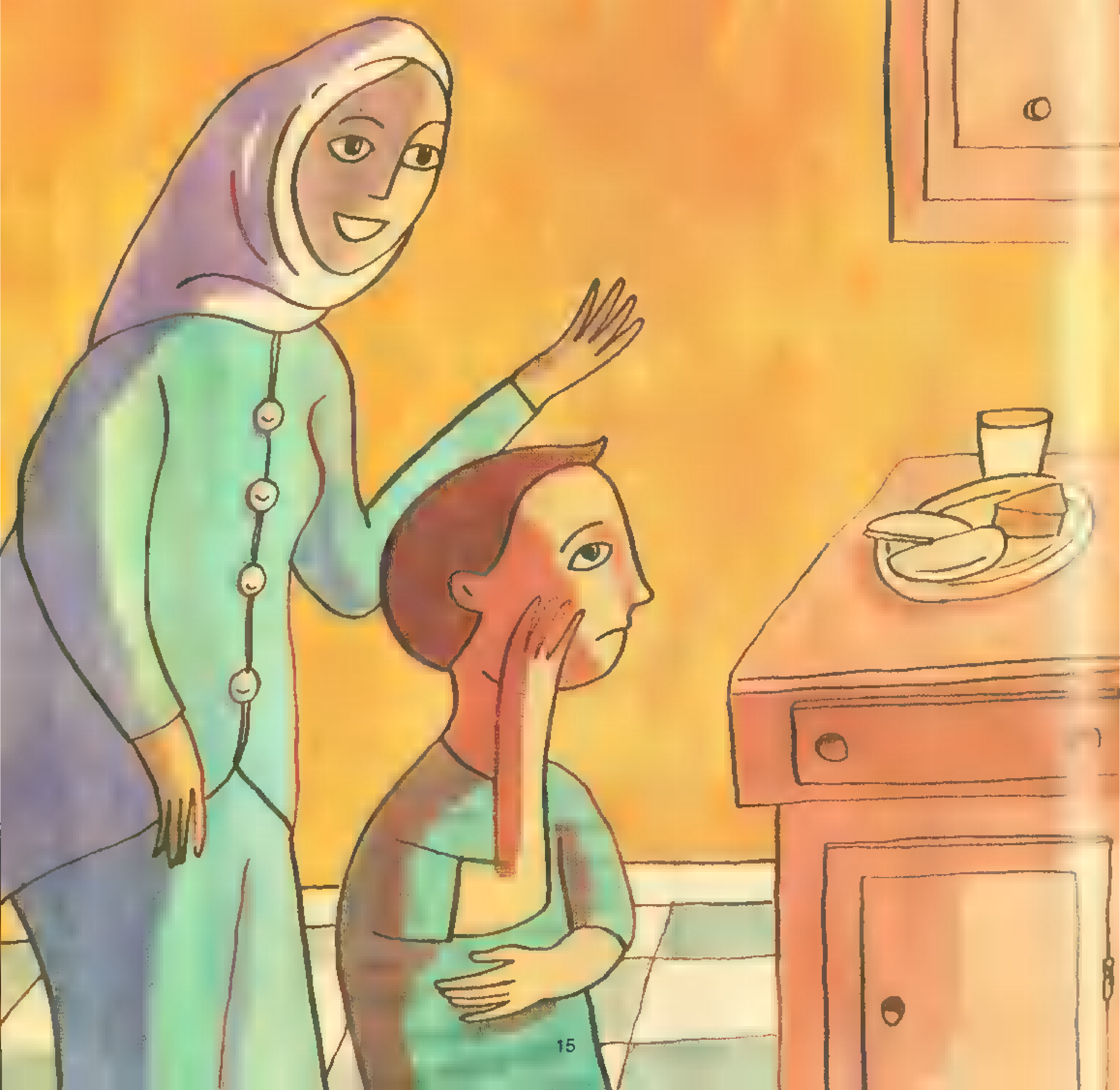
اسْتَأْذَنَ هِشامٌ والِدَتَهُ في أَنْ يَتَناوَلَ طَعامَهُ في الْباحَةِ، وكانَ يَرْجو أَنْ تَجْمَعَهُ الْمُصادَفَةُ بِهِرِّ جارِهِمْ ذي الْوَبَرِ الْأَبْيَضِ النّاعِمِ والْعَيْنَيْنِ الْخَضْراوَيْنِ.

وفيما كانَ يَحْمِلُ كوبَ الْحَليبِ والشَّطيرَةَ إلى الْخارِجِ، كانَتْ عَيْناهُ تُحَدِّقانِ إلى هٰذِهِ الْوَجْبَةِ الْمُغْرِيَةِ.

لَقَدْ كانَ يَشْعُرُ بِعَطَشٍ شَديدٍ لَمْ يَشْعُرْ بِمِثْلِهِ مِنْ قَبْلُ، وكانَ جائِعًا أَيْضًا.

حَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ بِأَنَّهُ لَيْسَ مُضْطَرًّا إلى الصِّيامِ، وأَنَّ أَحَدًا لا يَتَوَقَّعُ مِنْهُ أَنْ يَصومَ، ثُمَّ تَذَكَّرَ ما هَمَسَ بِهِ في عَتَمَةِ الْفَجْرِ..

لَقَدْ وَعَدَ اللّٰهَ بِأَنَّهُ سَوْفَ يَصومُ...



راحَ هِشامٌ يَجولُ بِنَظَرِهِ في الْحَديقَةِ مِنْ دونِ أَنْ يُلاحِظَ شَيْئًا ما يَتَحَرَّكُ هُنا أَوْ هُناكَ. مَرَّتْ دَقيقَتانِ... ثُمَّ ثَلاثٌ..

بَدَأَ الْقَلَقُ يُساوِرُهُ. ماذا سَيَفْعَلُ بِطَعامِهِ إِنْ لَمْ يَظْهَرِ الْهِرُّ؟

كانَ عَلَيْهِ أَنْ يَجِدَهُ، وبِأَيِّ وَسيلَةٍ!

بَحَثَ هِشامٌ عَنِ الْهِرِّ في مُحيطِ الْمَنْزِلِ، بَيْنَ الشُّجَيْراتِ، إلى جانِبِ السِّياجِ. وَلٰكِنْ مِنْ دونِ جَدْوى، فَاشْتَدَّ قَلَقُهُ.

وفَجْأَةً لَمَحَ شَيْئًا أَبْيَضَ يَخْرُجُ مِنْ فُتْحَةٍ صَغيرَةٍ تَحْتَ دَرَجِ الْمَنْزِلِ.

- إِنَّهُ ذَيْلُ هَرْهورٍ.. اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ!

- مياوووو...

صاحَ الْهِرُّ مَذْعورًا، وكانَتْ حَرارَةُ الْجَوِّ الْمُرْتَفِعَةُ قَدْ دَفَعَتْهُ إلى الْتِماسِ مَكانٍ رَطْبٍ وبارِدٍ يَسْتَرْخي فيهِ.

حاوَلَ هَرْهورٌ الْهَرَبَ عَبَثًا، فَقَدْ كانَ هِشامٌ يُمْسِكُ الذَّيْلَ بِإِحْكامٍ. رَمَى هِشامٌ الْخُبْزَ والْجُبْنَةَ أَمامَ الْهِرِّ، فَتَرَدَّدَ قَليلاً، ثُمَّ اقْتَرَبَ مِنْ هٰذِهِ الْوَجْبَةِ يَشُمُّها، وفي ثَوانٍ مَعْدودَةٍ انْقَضَّ عَلَيْها والْتَهَمَها مِنْ دونِ أَنْ يُبْقِيَ لَها أَثَرًا..

والْآنَ جاءَ دَوْرُ كوبِ الْحَليبِ..

راحَ هِشامٌ يُقاوِمُ رَغْبَتَهُ الشَّديدَةَ في إِرْواءِ ظَمَئِه، فَأَغْمَضَ عَيْنَيْهِ وسَكَبَ الْحَليبَ في وِعاءِ الشَّطيرَةِ الْفارِغِ.

عِنْدَما رَأى هَرْهورٌ هٰذا الْمَشْهَدَ وَثَبَ فَرِحًا بِهَدِيَّةِ السَّماءِ لَهُ، أَمّا هِشامٌ فَقَدْ تَفاجَأَ بِالسُّرْعَةِ الَّتي شَرِبَ فيها الْهِرُّ الْحَليبَ قائِلاً: «لا بُدَّ أَنَّكَ تَشْعُرُ بِالْعَطَشِ مِثْلي يا هَرْهورُ.»



وبَعْدَ دَقائِقَ كانَ هِشامٌ يَضَعُ الْوِعاءَ وكوبَ الْحَليبِ الْفارِغَيْنِ عَلى طاوِلَةِ الْمَطْبَخِ، وهُوَ يَشْعُرُ بِارْتِياحٍ كَبيرٍ، وكَأَنَّ حِمْلاً ثَقيلاً قَدْ زالَ عَنْ كاهِلِه!

سَمِعَ هِشامٌ بابَ غُرْفَةِ ناديا يُغْلَقُ بِقُوَّةٍ، وكانَتْ قَدْ عادَتْ لِتَوِّها مِنَ الْمَدْرَسَةِ، فَدَفَعَهُ الْفُضولُ نَحْوَ غُرْفَتِها عَلَّهُ يَعْلَمُ شَيْئًا عَنْ أَحْوالِها، ولا سِيَّما أَنَّها تَصومُ مِثْلَهُ لِلْمَرَّةِ الْأُولى.

طَرَقَ هِشامٌ الْبابَ مَرَّةً ومَرَّتَيْنِ ولَمْ يَسْمَعْ جَوابًا، فَتَرَدَّدَ ثُمَّ شَقَّ الْبابَ وأَطَلَّ بِرَأْسِهِ إِلى الدّاخِلِ. كانَتْ ناديا مُسْتَلْقِيَةً عَلى سَريرِها، وهِيَ ما تَزالُ في ثِيابِ الْمَدْرَسَةِ، وقَدْ رَمَتْ بِحَقيبَتِها وحِذائِها أَرْضًا.

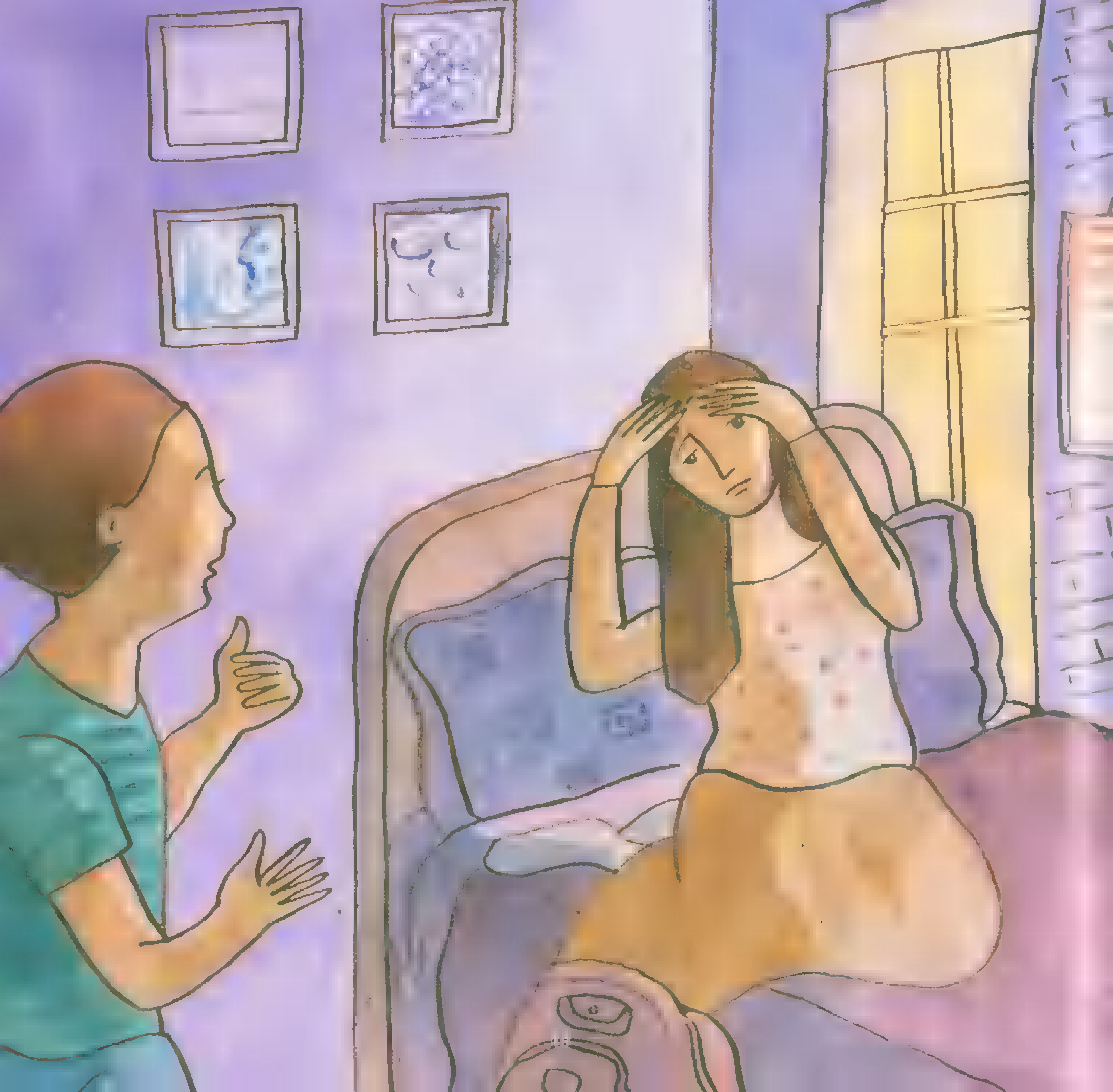
ـ ما بالُكِ يا ناديا، هَلْ أَنْتِ مَريضَةٌ؟

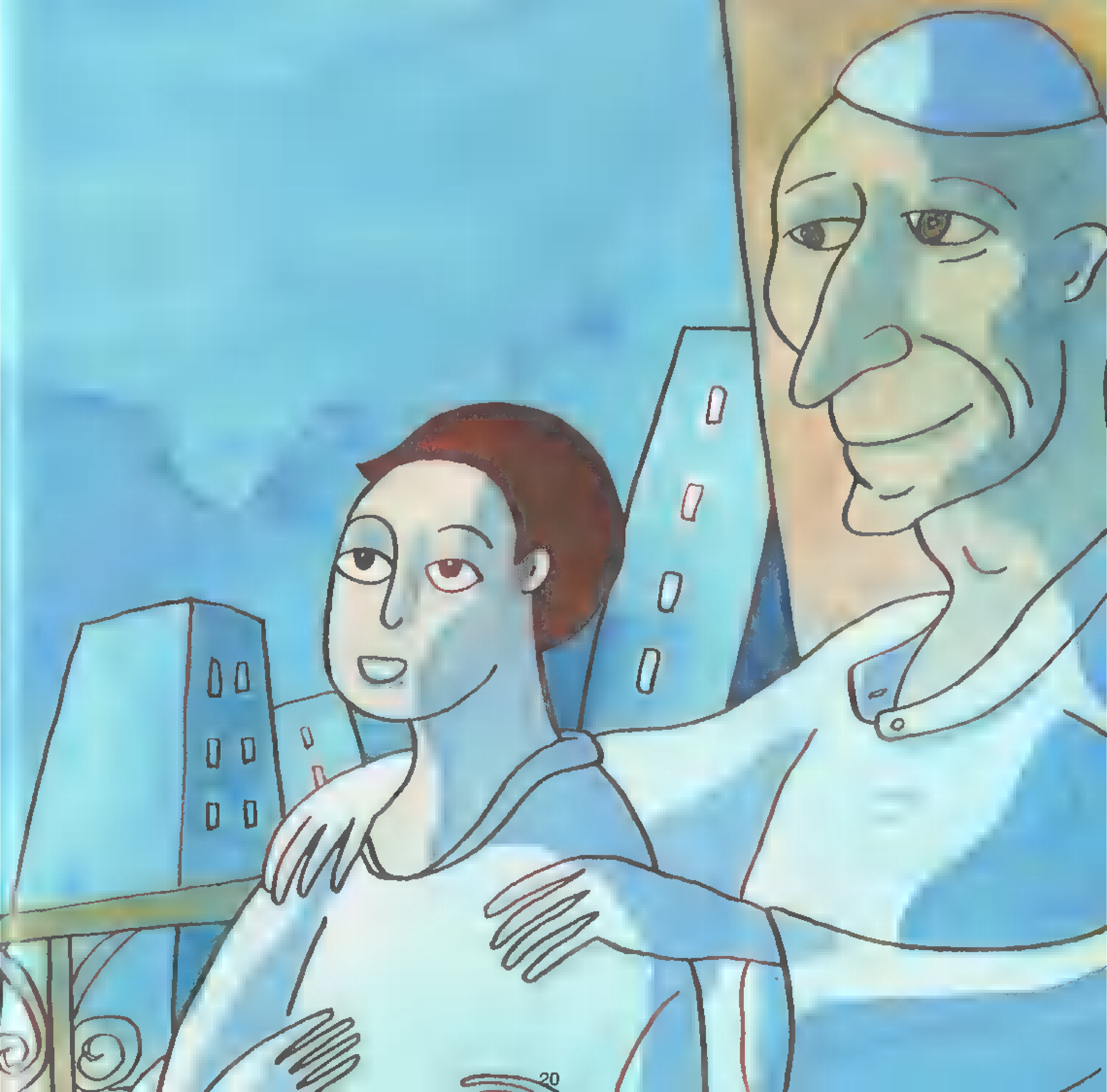
أَجابَتْ ناديا بِصَوْتٍ ضَعيفٍ: «أَشْعُرُ بِصُداعٍ رَهيبٍ.»

قالَ هِشامٌ: «لا بَأْسَ عَلَيْكِ بِإِذْنِ اللّٰهِ، فَبَعْدَ قَليلٍ يَحينُ مَوْعِدُ الْإِفْطارِ... أَلَيْسَ كَذٰلِكَ؟»

قالَتْ ناديا بِحَسْرَةٍ: «هَلْ قُلْتَ بَعْدَ قَليلٍ؟ ما يَزالُ أَمامي ثَلاثُ ساعاتٍ عَلى أَذانِ الْمَغْرِبِ، ثَلاثُ ساعاتٍ بِكامِلِها. أَرْجوكَ يا هِشامُ دَعْني الْآنَ، فَأَنْتَ مَحْظوظٌ جِدًّا بِأَنَّكَ ما زِلْتَ صَغيرًا عَلى الصِّيامِ.»

وَدَّ هِشامٌ لَوْ يُخْبِرُ ناديا بِصِيامِه، لٰكِنَّهُ غادَرَ الْغُرْفَةَ وهُوَ في سِرِّهِ يَتَذَمَّرُ مِنْ مُرورِ الْوَقْتِ بِبُطْءٍ شَديدٍ. لِلْمَرَّةِ الْأُولى في حَياتِهِ، لَمْ يَشْعُرْ بِرَغْبَةٍ في اللَّعِبِ، فَاسْتَلْقى عَلى سَريرِهِ. كانَتْ أَصْداءُ حَديثِ جَدِّهِ الْبارِحَةَ ما تَزالُ تَتَرَدَّدُ في أُذُنَيْهِ.





كانَتْ لَيْلَةً مِنْ لَيالي تَمُّوزَ الصّافِيَةِ، تِلْكَ اللَّيالي الَّتي تَبْدو فيها السَّماءُ كَأَدْنى ما تَكونُ مِنَ الْأَرْضِ، وكانَ هِشامٌ قَدْ جَلَسَ مَعَ جَدِّهِ عَلى الشُّرْفَةِ يَتَأَمَّلانِ بَهاءَ النُّجومِ الْمُتَلأْلِئَةِ في الْعَتَمَةِ كَأَنَّها أَضْواءُ مَصابيحَ تَلْمَعُ مِنْ بَعيدٍ. قالَ هِشامٌ:

«جَدّي لِمَ نَصومُ رَمَضانَ؟»

تَهَلَّلَ وَجْهُ الْجَدِّ بِابْتِسامَةٍ هادِئَةٍ، ونَظَرَ إلى حَفيدِهِ نَظْرَةً مِلْؤُها الرِّضا، ثُمَّ قالَ: «رَمَضانُ، يا بُنَيَّ، شَهْرُ الْبَرَكَةِ لِأَنَّ فيهِ لَيْلَةً عَظيمَةً نَزَلَ فيها الْقُرْآنُ أَوَّلَ ما نَزَلَ عَلى قَلْبِ رَسولِ اللّٰهِ مُحَمَّدٍ، صَلّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، هِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ.

والصِّيامُ يا هِشامُ يُهَذِّبُ النَّفْسَ، ويُحَرِّرُها مِنْ أَسْرِ الشَّهَواتِ، ويُعَوِّدُها طاعَةَ اللّٰهِ وَرَسولِهِ. كَما أَنَّهُ يُساوي بَيْنَ جَميعِ النّاسِ، فُقَرائِهِمْ وأَغْنِيائِهِمْ، ويُشْعِرُهُمْ بِنِعَمِ اللّٰهِ عَلَيْهِمْ وفَضْلِهِ بِأَنْ رَزَقَهُمُ الطَّعامَ والشَّرابَ...»

وهٰكذا، كانَ أَوَّلُ أَيّامِ الصِّيامِ يَنْقَضي شَيْئًا فَشَيْئًا فيما كانَ هِشامٌ يَغِطُّ فِي نَوْمٍ عَميقٍ..

كانَتِ الشَّمْسُ قَدْ أَوْشَكَتْ عَلى الْغُروبِ، تارِكَةً في السَّماءِ شَفَقًا أُرْجُوانِيَّ اللَّوْنِ بَديعًا عِنْدَما رَنَّ جَرَسُ الْمَنْزِلِ.

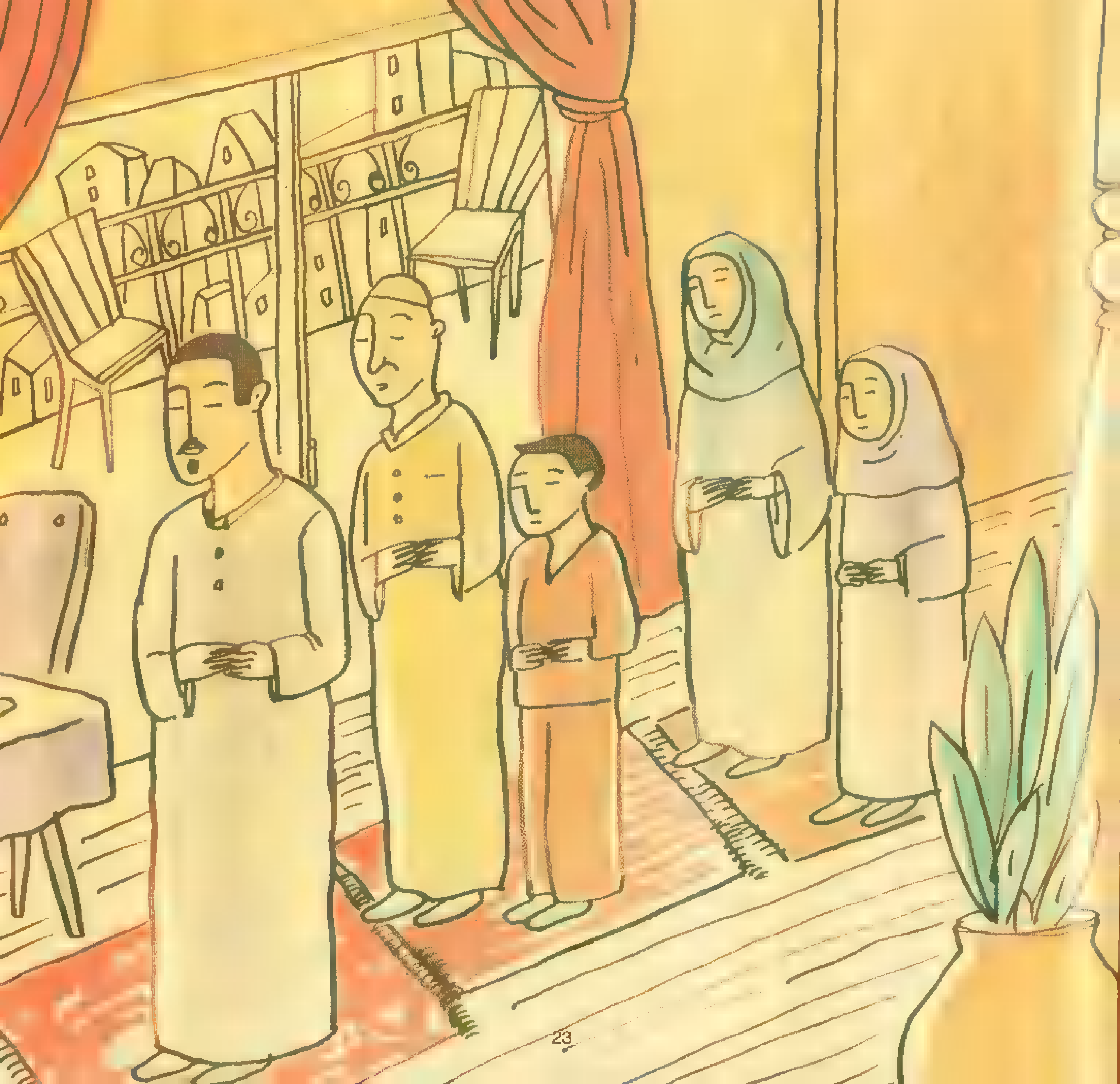
قَفَزَ هِشامٌ مِنْ سَريرِهِ فَرِحًا لِأَنَّهُ سَيَتَسَنّى لَهُ أَخيرًا أَنْ يَأْكُلَ وَيَشْرَبَ، وإِذا بِجَدِّهِ قَدْ قَدِمَ لِتَناوُلِ طَعامِ الإِفْطارِ مَعَ الْعائِلَةِ.

ما هِيَ إِلاّ دَقائِقُ مَعْدودَةٌ حَتّى ارْتَفَعَ صَوْتُ الْمُؤَذِّنِ مِنْ مِئْذَنَةِ الْمَسْجِدِ الْمُجاوِرِ، مُعْلِنًا غُروبَ شَمْسِ أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضانَ وانْتِهاءَ وَقْتِ الصَّوْمِ فيهِ.

تَعاوَنَتْ ناديا والْوالِدَةُ في إِحْضارِ التَّمْرِ والْماءِ إِلى غُرْفَةِ الْجُلوسِ حَيْثُ تَهَيَّأَ الْجَميعُ لِأَداءِ صَلاةِ الْمَغْرِبِ.

وَبَعْدَما أَفْطَروا عَلى حَبّاتٍ مِنَ التَّمْرِ، كَما كانَ يَفْعَلُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ، مَلأَ هِشامٌ الكَأْسَ ماءً وشَرِبَهُ دُفْعَةً واحِدَةً، فَشَعَرَ بِشَيْءٍ مِنَ الْغَرابَةِ في الْعَوْدَةِ إِلى الْأَكْلِ والشُّرْبِ مُجَدَّدًا.

وَقَفَ هِشامٌ عَلى سَجّادَةِ الصَّلاةِ بِالْقُرْبِ مِنْ جَدِّهِ، وكانَ، في أَثْناءِ الصَّلاةِ، يُراقِبُ تَحَرُّكاتِ الْجَدِّ وأَقْوالَهُ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَفوتَهُ رُكْنٌ مِنَ الْأَرْكانِ، مَعَ أَنَّهُ كانَ يَحْفَظُ سورَةَ «الْفاتِحَةِ» عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ.



عَلى مائِدَةِ الْإِفْطارِ، مُدَّتِ الْأَطْباقُ الشَّهِيَّةُ الَّتي أَعَدَّتْها الْوالِدَةُ.

وكانَتْ قَدْ أَعَدَّتْ لِهٰذِهِ الْمُناسَبَةِ صِنْفَيْنِ مُفَضَّلَيْنِ لَدى هِشامٍ: يَخْنَةَ الْبَنَدورَةِ بِاللَّحْمِ، وقالَبَ حَلْوى بِنَكْهَةِ الشّوكولاتَةِ اللَّذيذَةِ.

وَفيما كانَتِ الْعائِلَةُ تَتَناوَلُ الطَّعامَ، سَمِعَ الْجَميعُ مُواءً مُرْتَفِعًا يَصْدُرُ مِنَ الْخارِجِ.

قالَ الْجَدُّ: «هَلْ أَحْضَرْتُمْ قِطَّةً؟»

فَأَجابَ هِشامٌ: «هٰذا هِرُّ جارِنا «أَبو أَحْمَد»، اشْتَراهُ لِابْنِهِ مُنْذُ أَمَدٍ غَيْرِ بَعيدٍ.»

«ومُنْذُ ذٰلِكَ الْحينِ وهُوَ لا يُغادِرُ حَديقَتَنا، حَتّى إِنَّهُ داسَ مِرارًا «الشُّتولَ» الصَّغيرَةَ الَّتي كُنْتُ قَدْ زَرَعْتُها فَأَفْسَدَها» أَضافَتِ الْوالِدَةُ بِنَبْرَةٍ غاضِبَةٍ.

سَكَتَ الْجَميعُ وراحَ الْهِرُّ يَموءُ ويَموءُ مُطالِبًا بِحِصَّتِهِ مِنَ الْأَكْلِ الشَّهِيِّ. قالَ هِشامٌ: «يَبْدو أَنَّهُ جائِعٌ جِدًّا.» والْتَقَتْ نَظَراتُهُ بِنَظَراتِ ناديا الَّتي كانَتْ تُراقِبُهُ وهُوَ يَلْتَهِمُ طَعامَهُ، فَقالَتْ: «بَلْ أَنْتَ الْجائِعُ جِدًّا، مَنْ يَرَكَ يَحْسَبْ أَنَّكَ كُنْتَ صائِمًا!»

غَصَّ هِشامٌ واحْمَرَّ وَجْهُهُ، فَأَسْرَعَتِ الْوالِدَةُ تُقَدِّمُ لَهُ الْماءَ، وهِيَ تَلومُ ناديا عَلى اسْتِفْزازِها الْمُتَكَرِّرِ لِأَخيها الصَّغيرِ.

مَرَّ الْيَوْمُ الثّاني والثّالِثُ مِنْ أَيّامِ الصِّيامِ وهِشامٌ عَلى حالِهِ، يُواصِلُ تَنْفيذَ خُطَّتِهِ بِنَجاحٍ، مِنْ دونِ أَنْ يَتَنَبَّهَ أَحَدٌ لِصِيامِهِ أَوْ حَتّى أَنْ يَشُكَّ في ذٰلِكَ.

كانَتِ الْوالِدَةُ قَدْ وَعَدَتِ الْوَلَدَيْنِ بِاصْطِحابِهِما في نُزْهَةٍ إِلى مَدينَةِ الْمَلاهي أَوَّلَ أَيّامِ عيدِ الْفِطْرِ الْمُبارَكِ.

وعِنْدَما كانَ هِشامٌ يُفَكِّرُ في كُلِّ الْأَطايِبِ الَّتي سَيَتَناوَلُها في تِلْكَ النُّزْهَةِ، كانَتْ مَعِدَتُهُ الْخاوِيَةُ تُقَرْقِرُ، فَيَشْعُرُ أَنَّ أَيّامَ الصِّيامِ قَدْ طالَتْ وَلَوْ أَنَّها بَعْدُ في الْيَوْمِ الرّابِعِ وأَنَّ عيدَ الْفِطْرِ ما يَزالُ بَعيدًا جِدًّا، فَتوشِكُ عَزيمَتُهُ أَنْ تَضْعُفَ، وَبِخاصَّةٍ أَنَّهُ كانَ يَعْلَمُ في قَرارَةِ نَفْسِهِ أَنَّ والِدَيْهِ سَيَسْتاءانِ بِشِدَّةٍ إِنِ اكْتَشَفا سِرَّهُ الْخَطيرَ.



لٰكِنَّهُ كانَ يُصَبِّرُ نَفْسَهُ بِحَديثٍ سَمِعَهُ مِنْ جَدِّهِ، وَهُوَ أَنَّ النَّبِيَّ قاسى الْجوعَ والْعَطَشَ الشَّديدَيْنِ مِرارًا في حَياتِهِ، فَالْجوعُ يَجْعَلُ الْجَميعَ مُتَساوينَ، وكانَ هِشامٌ يَظُنُّ أَنَّ جَدَّهُ سَيَكونُ فَخورًا بِهِ عِنْدَما يُخْبِرُهُ أَنَّهُ قَدْ صامَ رَمَضانَ.

كَعادَتِهِ في الْأَيّامِ السّابِقَةِ، تَسَلَّلَ هِشامٌ إِلى الْباحَةِ الْخارِجِيَّةِ حَيْثُ كانَ الْهِرُّ يَنْتَظِرُ وَجْبَتَهُ بِفارِغِ الصَّبْرِ.

وبَيْنَما كانَ هِشامٌ يَرْمي لَهُ الطَّعامَ، فُتِحَ بابُ الْمَنْزِلِ بِسُرْعَةٍ، فَحَبَسَ أَنْفاسَهُ، وأَحَسَّ بِأَنَّ قَلْبَهُ قَدْ تَوَقَّفَ لِلَحْظَةٍ عَنِ الْخَفَقانِ لِشِدَّةِ خَوْفِهِ مِنْ أَنْ يُفْتَضَحَ أَمْرُهُ.

«ماذا تَفْعَلُ؟» قالَتِ الوالِدَةُ بِنَبْرَةٍ مِلْؤُها الْغَضَبُ، ثُمَّ أَضافَتْ: «هَلْ كُنْتَ تُطْعِمُ الْهِرَّ الشَّطائِرَ الَّتي أَعْدَدْتُها لَكَ؟»

ـ آه.. أَنا.. لا... حاوَلَ هِشامٌ أَنْ يَبْحَثَ جاهِدًا عَنْ عُذْرٍ مُقْنِعٍ ، لٰكِنَّهُ لِشِدَّةِ ارْتِباكِهِ وخَوْفِهِ لَمْ يَجِدْ أَمامَهُ سِوى الاعْتِرافِ، فَأَجابَ بِصَوْتٍ ضَعيفٍ: «أَنا صائِمٌ».

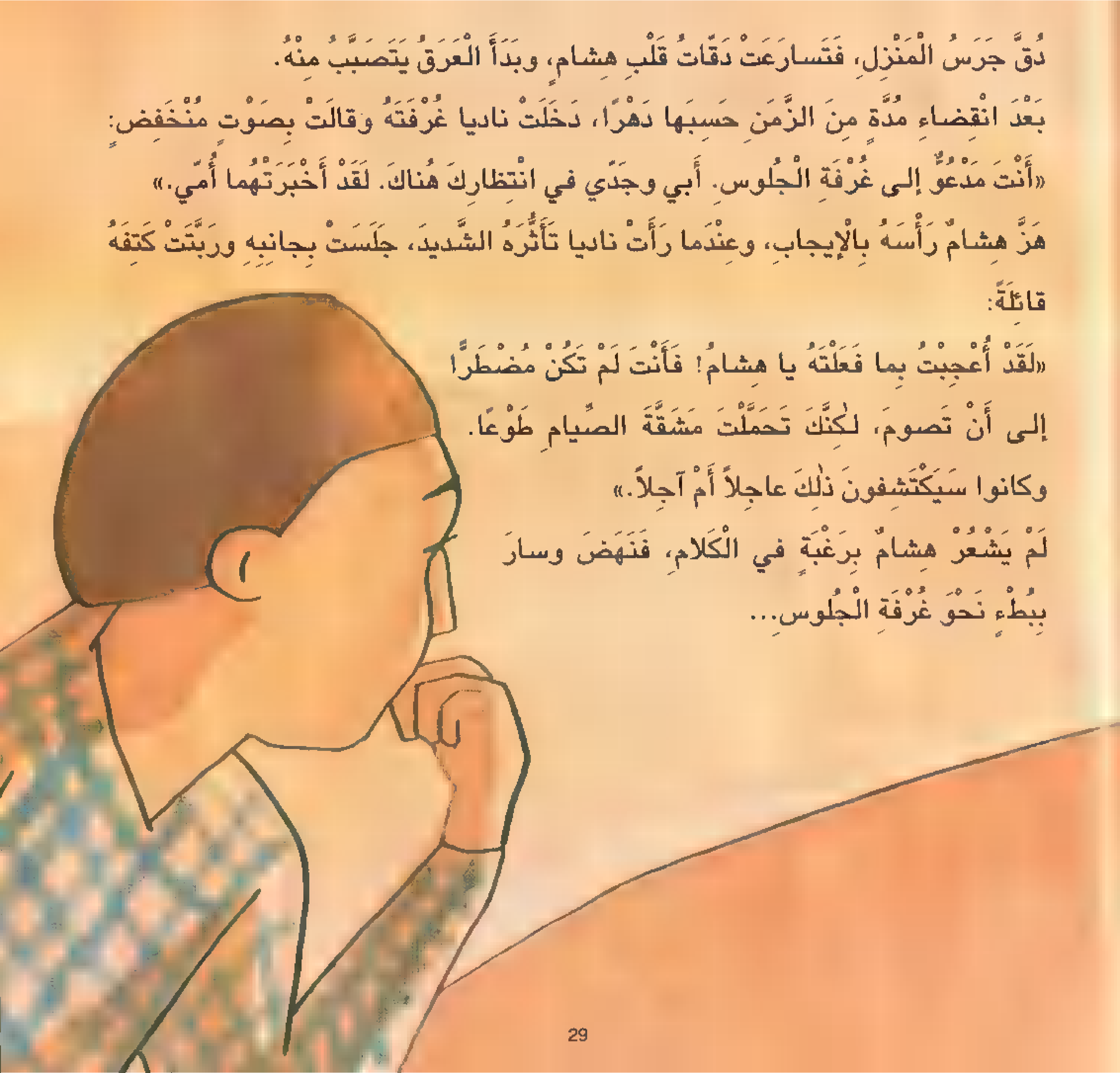
سادَ الصَّمْتُ لِلَحَظاتٍ، وكانَ في اسْتِطاعَةِ هِشامٍ أَنْ يَرى بِوُضوحٍ الْعُبوسَ عَلى وَجْهِ والِدَتِهِ الَّتي قالَتْ لَهُ: «ما هٰكَذا يا هِشامُ يَكونُ الصِّيامُ. عَلَيْنا أَنْ نُناقِشَ الْأَمْرَ عِنْدَما يَعودُ والِدُكَ مِنْ عَمَلِهِ.»

ثُمَّ اسْتَدارَتْ وعادَتْ إِلى الدّاخِلِ.





«كَيْفَ سَأُبَرِّرُ مَوْقِفِي أَمامَ والِدَيَّ وجَدّي؟
كَيْفَ سَها عَنْ بالي أَنَّ جَدّي سَوْفَ يَسْتاءُ مِنّي إِنْ
عَلِمَ أَنّي قَدْ خَذَلْتُ والِدَيَّ؟
كانَ عَلَيَّ أَنْ أَكْتَفِيَ بِتَفْويتِ طَعامِ الْفَطورِ
الصَّباحِيِّ فَحَسْبُ..
لَقَدْ كانَ والِدايَ عَلى حَقٍّ،
فَالصِّيامُ فِعْلاً شاقٌّ عَلَيَّ!»
مَرَّتِ الدَّقائِقُ عَلى هِشامٍ
كَأَنَّها ساعاتٌ، وكانَ جالِسًا
عَلى سَريرِهِ، غارِقًا في
بَحْرٍ مِنَ الْأَسْئِلَةِ.



دُقَّ جَرَسُ الْمَنْزِلِ، فَتَسارَعَتْ دَقّاتُ قَلْبِ هِشامٍ، وبَدَأَ الْعَرَقُ يَتَصَبَّبُ مِنْهُ.

بَعْدَ انْقِضاءِ مُدَّةٍ مِنَ الزَّمَنِ حَسِبَها دَهْرًا، دَخَلَتْ ناديا غُرْفَتَهُ وقالَتْ بِصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ:

«أَنْتَ مَدْعُوٌّ إلى غُرْفَةِ الْجُلوسِ. أَبي وجَدّي في انْتِظارِكَ هُناكَ. لَقَدْ أَخْبَرَتْهُما أُمّي.»

هَزَّ هِشامٌ رَأْسَهُ بِالْإيجابِ، وعِنْدَما رَأَتْ ناديا تَأَثُّرَهُ الشَّديدَ، جَلَسَتْ بِجانِبِهِ ورَبَّتَتْ كَتِفَهُ قائِلَةً:

«لَقَدْ أُعْجِبْتُ بِما فَعَلْتَهُ يا هِشامُ! فَأَنْتَ لَمْ تَكُنْ مُضْطَرًّا

إلى أَنْ تَصومَ، لٰكِنَّكَ تَحَمَّلْتَ مَشَقَّةَ الصِّيامِ طَوْعًا.

وكانوا سَيَكْتَشِفونَ ذٰلِكَ عاجِلاً أَمْ آجِلاً.»

لَمْ يَشْعُرْ هِشامٌ بِرَغْبَةٍ في الْكَلامِ، فَنَهَضَ وسارَ

بِبُطْءٍ نَحْوَ غُرْفَةِ الْجُلوسِ...

ـ اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ.

نَظَرَ الْجَميعُ إِلى الْبابِ حَيْثُ كانَ هِشامٌ يَقِفُ مُطَأْطِئًا رَأْسَهُ.

قالَ الْجَدُّ: «تَعالَ واجْلِسْ إِلى جانِبي.» فَاقْتَرَبَ مِنْهُ هِشامٌ بِخُطُواتٍ مُتَرَدِّدَةٍ، وهُوَ يَتَحاشَى النَّظَرَ في أَعْيُنِ الْجالِسينَ.

بَدَأَ الْوالِدُ حَديثَهُ بِالْقَوْلِ: «عِنْدَما رَفَضْنا، أَنا ووالِدَتُكَ، أَنْ تَصومَ يا بُنَيَّ كُنّا نَعْلَمُ أَنَّ الصِّيامَ شاقٌّ عَلى مَنْ في سِنِّكَ، وَلَمْ نَكُنْ نُريدُ أَنْ نُحَمِّلَكَ أَكْثَرَ مِنْ طاقَتِكَ. فَمُنْذُ مَتى كُنْتَ، يا هِشامُ، تُخالِفُ كَلامَنا؟

هَلْ كُنْتَ تَظُنُّ أَنَّ صِيامَكَ مِنْ دونِ عِلْمِنا ومُوافَقَتِنا هُوَ أَمْرٌ صائِبٌ؟»

لَمْ يَعْتَدْ هِشامٌ أَنْ يَرى الابْتِسامَةَ تَغيبُ عَنْ وَجْهِ والِدِهِ. لٰكِنَّ الْوالِدَ، هٰذِهِ الْمَرَّةَ، كانَ يَتَكَلَّمُ بِجِدِّيَّةٍ، ناظِرًا مُباشَرَةً في عَيْنَيْ وَلَدِهِ، فَشَعَرَ هِشامٌ بِخُطورَةِ ما قامَ بِهِ، وأَجابَ بِصَوْتٍ لا يَكادُ يُسْمَعُ:

«لا يا أَبـي! لٰكِنّي أَحْبَبْتُ أَنْ أَصومَ». ثُمَّ أَضافَ وشَفَتاهُ تَرْتَعِشانِ: «لَقَدْ وَعَدْتُ اللّٰهَ بِأَنْ أَصومَ، وكانَ مَنْ في الْبَيْتِ جَميعًا صائِمينَ بِمَنْ فيهِمْ نادِيا.»



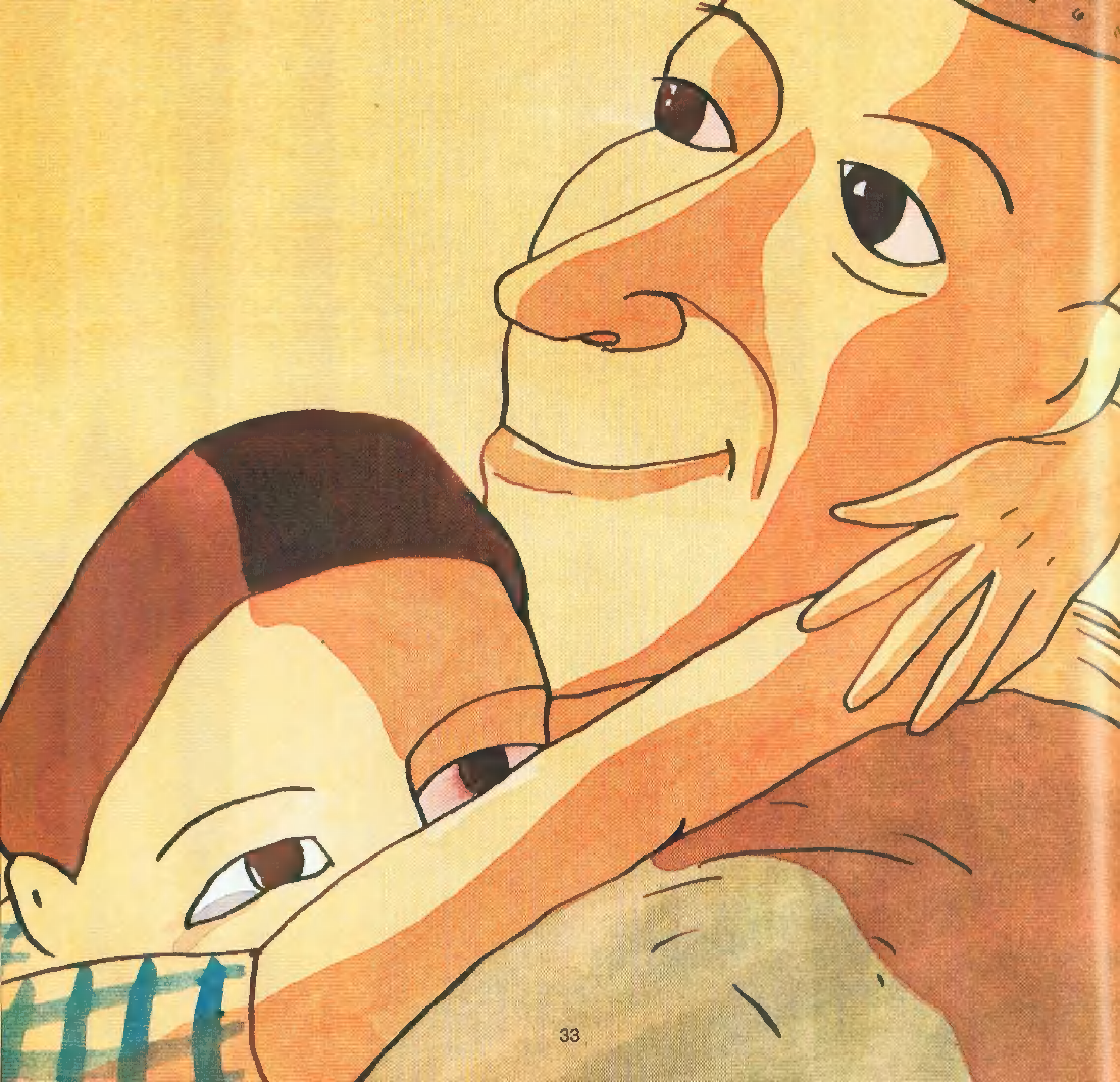
وراحَ يَبْكي بِصَمْتٍ.

عِنْدَئِـذٍ شَعَرَ هِشامٌ بِذِراعِ جَدِّهِ تُطَوِّقُهُ، وضَمَّهُ الْجَدُّ إلى صَدْرِهِ قائلاً:

«لا بَأْسَ عَلَيْكَ! سَوْفَ تَكونُ بِإِذْنِ اللّٰهِ مُؤْمِنًا بِحَقٍّ. ولٰكِنْ، إيّاكَ أَنْ تَعْصِيَ والِدَيْكَ أَوْ تَكْذِبَ عَلَيْهِما بَعْدَ الْآنَ، فَالْمُؤْمِنُ دَوْمًا صادِقٌ. أَتَعِدُني بِذٰلِكَ؟»

هَزَّ هِشامٌ بِرَأْسِهِ مُوافِقًا، وهُوَ يَمْسَحُ دُموعَهُ الَّتي كانَتْ تَتَدَحْرَجُ على وَجْنَتَيْهِ حارَّةً.

ثُمَّ أَضافَ الْجَدُّ: «إِذًا هَيّا قُمْ واعْتَذِرْ إلى والِدَيْكَ وقَبِّلْهُما.»



عانَقَ هِشامٌ والِدَيْه بِحَرارَةٍ، وطَبَعا عَلى جَبـينِه قُبْلَتَيْنِ، فَشَعَرَ بِفَرْحَةٍ عارِمَةٍ وطُمَأْنينَةٍ افْتَقَدَها في الْمُدَّةِ الأَخيرَةِ، وعاهَدَ اللّٰهَ في سِرِّهِ أَلّا يُخالِفَ كَلامَ والِدَيْه بَعْدَ ذٰلِكَ.

مَرَّتْ دَقائِقُ اسْتَجْمَعَ فيها الْحاضِرونَ أَفْكارَهُمْ، ثُمَّ قالَ الْوالِدُ بِابْتِسامَتِه الْمَعْهودَةِ: «أَما زِلْتَ تُريدُ الصِّيامَ يا هِشامُ؟»
فَكَّرَ هِشامٌ مَلِيًّا ثُمَّ قالَ: «سَأَكْتَفي بِتَفْويتِ وَجْبَةِ الْفَطورِ الصَّباحِيِّ، فَأَنا ما زِلْتُ صَغيرًا عَلَى الصِّيامِ!»
وضَحِكَ الْجَميعُ ضِحْكَةً عالِيَةً.



المستوى الرابع

كيف تختار من سلسلة « الـواحـة »

المستوى الأول : الحضانة - الأول الابتدائي العمر 3 - 6 سنوات

المستوى الثاني : الروضة - الثاني الابتدائي العمر 5 - 7 سنوات

المستوى الثالث : الأول والثاني الابتدائيان العمر 6 - 8 سنوات

المستوى الرابع : الثاني والثالث الابتدائيان العمر 7 - 9 سنوات

المستوى الخامس : الثالث والرابع الابتدائيان العمر 8 - 10 سنوات

المستوى السادس : الرابع والخامس الابتدائيان العمر 9 - 12 سنة

قصة اجتماعية هادفة ذات طابع دينيّ يعيش فيها الطفل أجواء الصيام في شهر رمضان المبارك، بمرافقة هشام ذي الأعوام الثمانية الذي يُصرّ على أنه لم يَعُد صغيرًا على الصيام.

www.malayin.com



هذا الكتاب متوفّر بغلاف ورقيّ أو بغلاف كرتوني مقوّى.